فضل شهر رمضان

● الخطبة الأولى:

أما بعد فيا أيها الإخوة المسلمون:

إن لربنا في دهرنا نفحات، تأتينا نفحة بعد نفحة، تذكرنا كلما نسينا، وتنبهنا كلما غفلنا، وتقوينا على عزائم الخير كلما ضعفنا.

إنها مواسم للخيرات، يتيحها الله تعالى لعباده، ليتزودوا منها ما استطاعوا، وخير الزاد التقوى ﴿... وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ۚ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [البقرة: ١٩٧].

وإن أعظم مواسم الخير هو هذا الشهر الكريم، شهر رمضان المبارك، الذي فضله الله تعالى بنزول القرآن فيه، أعظم الكتب، كلام الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، دستور خالد لهداية الخلق، وقانون السماء لهداية الأرض ﴿... شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ...﴾ [البقرة: ١٨٥].

إن الله تعالى منّ على هذه الأمة بهذا الشهر من كل عام، يزورها ضيفاً كريماً، فمن الناس من يحسن وفادته... من الناس من يكرمه، ومن الناس من يخرج عنه رمضان وهو يحمل له أسوأ الأثر والذكريات.

فطوبى لمن شفع فيه رمضان، وطوبى لمن شفع فيه القرآن «الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة، يقول الصيام: أي رب منعته الطعام والشهوة فشفعني فيه، ويقول القرآن: منعته النوم بالليل فشفعني فيه، قال فيشفعان»[1].

(١) رواه أحمد، والطبراني في الكبير، ورجاله محتج بهم في الصحيح. ورواه ابن أبي الدنيا في كتاب الجوع وغيره بإسناد حسن، والحاكم وقال: صحيح على شرط مسلم ووافقه.

رمضان موسم للخيرات يتيحه الله تعالى للإنسان، هو موسم المتقين ومتجر الصالحين. لكل بضاعة موسم، ولكل تجارة موسم، يترقبه أهلها، لماذا؟ ليزيدوا من نشاطهم ويضاعفوا من جهدهم، عسى أن يزيد ربحهم، وما قيمة الربح؟ إنهم يزيدون النشاط، فيركبون الأخطار، ويصلون الليل بالنهار، في سبيل ربح قد يكون وقد لا يكون، وإذا كان فقد ينتفعون به وقد لا ينتفعون، وإذا انتفعوا به يوماً فإنهم عنه زائلون، إن دام لهم فهم أنفسهم لا يدومون.

هل الدنيا تساق لك عفواً ... أليس مصير ذاك إلى انتقال

وما دنياك إلا مثل غل ... أظلك ثم آذن بالزوال

إن للدنيا تجاراً، وإن للآخرة تجاراً، تجار الدنيا يترقبون مواسمها ليربحوا، وتجار الآخرة يترقبون مواسمها أيضاً ليربحوا، ولكن ربح هؤلاء غير ربح أولئك، إن ربحهم مغفرة من ربهم وجنات تجري من تحتها الأنهار، تجار الآخرة هم كما وصفهم الله: ﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٣٧﴾﴾ [النور: ٣٧].

يأتي رمضان كل عام فرصة للإنسان المسلم، ليزداد من الخيرات، ويقلل من أسباب السيئات.

الخير مفتوحة أبوابه، الجنة مفتحة أبوابها، والنار مغلقة أبوابها، والشياطين مقيدة مصفدة، دلالة على أن أسباب الخير كثيرة متوافرة، وأسباب الشر قليلة محدودة.

فيا سعادة من انتفع بهذه الفرصة، جاء في الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال: «**إذا جاء رمضان فتحت أبواب الجنة، وغلقت أبواب النار، وصفدت الشياطين**»[1] وجاء في بعض الأحاديث: «.... وينادي مناد يا باغي الخير

الذهبي (المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب: ١/ ٣٠٩، الحديث ٥٠٩).

(١) رواه البخاري ومسلم عن أبي هريرة (المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب: ١/ ٣١٢، الحديث ٥١٧).

أقبل، ويا باغي الشر أقصر...»[1] «يا باغي الخير أقبل، الفرصة أمامك، بحسبك من الغفلة عن الله أحد عشر شهراً مضت، يا طالب الخير أقبل، الحسنات تضاعف، الباب مفتوح، ضع يدك في يد الله عز وجل، يا باغي الخير أقبل على الله بحسن الصيام وحسن القيام والإكثار من الطاعات.

حسن الصيام: ألا يكون صيامك مجرد صيام البطن والفرج، ولكن لسانك مفطر، وعينيك مفطرتان، وأذنيك مفطرتان، وجوارحك مفطرة.

عينك مفطرة بالنظر إلى الحرام، ولسانك مفطر بالكذب أو الغيبة أو النميمة أو السخرية أو اللغو، وأذنك مفطرة بسماع الأغاني الفارغة، وسماع الألفاظ السخيفة، لا ينبغي لك أيها المسلم أن يصوم بطنك وفرجك، وكلك مفطر. تصوم عما أحل الله من الطعام والشراب، وتفطر على ما حرّم الله من المعاصي، يقول الحديث الصحيح: «من لم يدفع قول الزور والعمل به، فليس لله حاجة أن يدع طعامه وشرابه»[2] لم يتأدب بأدب الإسلام، ما دام لم يحصن نفسه من المعاصي: «... والصيام جنة ـ درع من المعاصي ومن الآثام في الدنيا، ومن النارفي الآخرة، جنة كجنة أحدكم من القتال ـ فإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث، ولا يصخب، فإن سابه أحد، أو قاتله، فليقل إني صائم، إني صائم..»[3].

---

(١) جزء من حديث رواه الترمذي، وابن ماجه، وابن خزيمة في صحيحه، والبيهقي كلهم من رواية أبي بكر بن عياش، عن الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي هريرة. قال الترمذي: حديث غريب، ورواه النسائي، والحاكم، بنحو هذا اللفظ، وقال الحاكم: صحيح على شرطهما، ووافقه الذهبي، وحسن الألباني إسناده للخلاف في ابن عياش من قبل حفظه. وانظر نص الحديث كاملاً في (المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب: ١/ ٣١٢ ـ ٣١٣، الحديث ٥١٧).

(٢) رواه البخاري عن أبي هريرة، وأبو داود، والترمذي، والنسائي، وابن ماجه، وعنده «من لم يدع قول الزور والجهل والعمل به» وهو رواية للنسائي (المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب: ١/ ٣٣٠، حديث ٥٦٨).

(٣) رواه البخاري واللفظ له، ومسلم (المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب: ١/ ٣٠٧، برقم ٥٠٥).

لا يقابل السيئة بالسيئة، بل يقابل السيئة بالحسنة. يتذكر أنه في عبادة ينبغي ألا تخدش ولا تجرح، فيقول بقلبه ويقول بلسانه، مخاطباً نفسه ومخاطباً من يسبه ويشتمه، يقول: إني صائم إني صائم.

الأمر إذن ليس كما يفعل كثير من سفهاء الناس، يتطاول أحدهم بلسانه على الخلق، ثم يقول: أعذرني فإني صائم، كأن الله شرع الصيام ليفسد أخلاق الناس! لا، بل ينبغي للصائم أن ينضبط.. أن يهذب نفسه.. أن يصوم لسانه، كما يصون أذنه، كما يصون عينيه، كما يصون جوارحه كلها «رب صائم ليس له من صيامه إلا الجوع»[1] أتعب نفسه، وأجهد جسمه، وأجاع بطنه، ولكنه لم يقم للصيام بحقه.

ذهبت عائشة رضي الله عنها، وذهب الأوزاعي، وذهب الظاهرية، وذهب عدد من فقهاء السلف، إلى أن الغيبة والنميمة والكذب والمعاصي كلها تفطر الصائم، ومن ارتكب شيئاً من ذلك فعليه أن يقضي يوماً بدل هذا اليوم. وقال سائر الصحابة وجمهور العلماء: إنها لا تفطر الصائم، ولكنها تذهب بثوابه وأجره عند الله[2]. وهل هذا هين؟ أن تجوع وتظمأ، ويجف ريقك يوماً كاملاً، ثم بعد ذلك لا يكون لك مثوبة عند الله، تخرج خاوي الوفاض، بادي الأنفاض، ليس لك شيء.

صن نفسك، صن لسانك، صن أذنيك، صن عينيك، صن يديك، صن رجليك، صن جوارحك كلها، حتى لا تمس حراماً، ولا تفعل حراماً.

---

(١) رواه ابن ماجه واللفظ له من حديث أبي هريرة، ورواه النسائي وابن خزيمة في صحيحه، والحاكم وقال: صحيح على شرط البخاري، ووافقه الذهبي (المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب: ١/ ٣٣٠، برقم ٥٧٠) وتمامه «ورب قائم ليس له من قيامه إلا السهر».

(٢) ذكر الشيخ هذه المسألة بشيء من التفصيل تحت عنوان: هل المعاصي تفطر الصائم؟ في كتابه (فقه الصيام: ص٨٦ ـ ٨٩) فلتراجع هناك.

حاول أن تتطهر في هذا الشهر الكريم، إنه شهر التطهر، الله أتاح لنا فرصة بعد فرصة لنتطهر. علم الله أن فينا ضعفاً، وأنه خلقنا خلقاً مزدوج الطبيعة، فينا الطين وفينا الروح، فينا الصلصال والحمأ المسنون، وفينا سر قوله تعالى: ﴿. . . وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي. . .﴾ [الحجر: ٢٩] فأحياناً يغلّب الإنسان جانبه الطيني، فيهوى إلى الأرض ويخلد إليها، وأحياناً يغلب جانبه الروحي، فيرقى حتى يصعد إلى الملائكة.

الصيام شرعه الله لنا لنرقى إلى أفق الملائكة، ليرتقي فينا الجزء الرباني السماوي على الجزء الأرضي الطيني.

الإنسان ليس جسماً فقط، الإنسان جسم وروح، بل الروح هو الحقيقة، والجسم هو الغلاف، فلا يجوز له أن يعيش لجسمه وبدنه، ويغفل نفسه وروحه التي بين جنبيه.

يا خادم الجسم كم تسعى لخدمته ... أتطلب الربح مما فيه خسران؟!

أقبل على النفس واستكمل فضائلها ... فأنت بالنفس لا بالجسم إنسان

من هنا شرع الله الصيام ليرقى بالإنسان، ليرقى بنفسه وروحه، حتى يكون إنساناً حقاً، فلقد عاش بعض الأحيان أقرب إلى الحيوان، وربما أقرب إلى الشيطان، ورمضان فرصة ليتطهر ويصعد إلى أفق أعلى.

هذه فرصتك أيها الإنسان المسلم، الصيام يقربك من الله عز وجل، لأنك حرمت نفسك مما اعتدته من قبل، لا لشيء إلا لإرضاء الله تبارك وتعالى. ما الذي غير نظام حياتك؟ كنت تأكل في الصباح، وتأكل في الظهيرة، فغيرت هذا النظام، ثرت على مألوفاتك، ما الذي جعلك تفعل هذا؟ إنه العبودية لله تبارك وتعالى، ولذلك جاء في الحديث: «كل عمل ابن آدم له، الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف، قال الله: إلا الصوم فهو لي وأنا أجزي به، يدع الطعام من أجلي، ويدع الشراب من أجلي، ويدع لذته من أجلي، ويدع زوجته من

أجلي. . . »[1].

من أجل الله وحده، يترك الإنسان ما تشتهيه نفسه، ولهذا نسب الله هذه العبادة إليه.

الإنسان المسلم في رمضان يرتقي ويتطهر، الله أعطانا فرصة يومية للتطهر بالصلوات الخمس «أرأيتم لو أن نهراً على باب أحدكم، يغتسل فيه كل يوم خمس مرات، هل يبقى من دونه شيء؟ ـ هكذا سألهم النبي ﷺ ـ قالوا: لا يبقى من درنه شيء. قال: فذلك مثل الصلوات الخمس، يمحو الله بهن الخطايا»[2]. فرصة يومية، حمام يومي يغتسل فيه الإنسان كل يوم خمس مرات، ليتطهر من أوضار ذنوبه، وأنجاس خطاياه. ثم تأتي فرصة أسبوعية في يوم الجمعة، ثم تأتي الفرصة السنوية في رمضان، بصيامه وقيامه، جاء في الحديث الصحيح: «من صام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه»[3] و«من قام رمضان إيماناً واحتساباً، غفر له ما تقدم من ذنبه»[4] أي: من الصغائر كما دلت الأحاديث الأخرى، أما الكبائر فلا بد لها من توبة نصوح. وفي الصحيح «الصلوات الخمس، والجمعة إلى الجمعة، ورمضان إلى رمضان مكفرات لما بينهن إذا اجتنبت الكبائر»[5].

---

(١) رواه ابن خزيمة في صحيحه واللفظ له، رواه البخاري، ومسلم، ومالك، وأبو داود، والترمذي، والنسائي، مع اختلاف بينهم في الألفاظ (المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب: ١/٣٠٨، برقم ٥٠٥).

(٢) رواه البخاري، ومسلم، والترمذي، والنسائي من حديث أبي هريرة، ورواه ابن ماجه من حديث عثمان (المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب: ١/١٦٨، برقم ١٨٤).

(٣) متفق عليه من حديث أبي هريرة (شرح السنة للبغوي بتحقيق الشاويش والأرناؤوط: ٦/٢١٧، حديث ١٧٠٦) ومعنى (إيماناً) أي: تصديقاً بوعد الله تعالى، ومعنى احتساباً: أي طلباً لوجه الله تعالى وثوابه.

(٤) متفق عليه من حديث أبي هريرة، ورواه مالك في الموطأ (شرح السنة للبغوي بتحقيق الشاويش والأرناؤوط: ٤/١١٦، حديث ٩٨٨).

(٥) رواه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة، كتاب الطهارة، حديث (٢٣٣). وانظر تعليق

الصيام والقيام يؤديان بك إلى مغفرة الله تبارك وتعالى، إذا أردت أن تخرج من هذا الشهر مغفوراً لك، فعليك بأن تحسن الصيام، وتحسن القيام، أن تصوم صوم المؤمنين المحتسبين، وتقوم قيام المؤمنين المحتسبين.

ولهذا يا ويل أولئك الذين يأتي عليهم رمضان، ولا يفرقون بينه وبين غيره من شهور العام، أولئك الذين يتسمون بأسماء المسلمين، ويعيشون بين ظهرانينا، وينتهكون حرمة هذا الشهر الكريم، هل يجوز أن يحدث هذا في مجتمع مسلم، لا والله. أولئك إما فسّاق عصاة، أو مرتدون كفار والعياذ بالله.

من استخف بحرمة هذا الشهر، من أنكر فرضيته، فهو كافر مارق، ينبغي أن يفرق بينه وبين زوجته وأولاده، وأن يحكم عليه بالردة والمروق من الإسلام. ومن اعترف بحرمة هذا الشهر وفريضته، ولكنه أعلن أنه عاص بعمله، فهذا فاسق عاص، لا يحكم عليه بالكفر.

كان المسلمون قديماً يصومون ويصومّون صبيانهم وهم صغار، حتى كانوا يأتون لهم باللعب من العهن.. الصوف المنفوش، يسلونهم بها حتى يحين وقت الإفطار. ومن هنا كان على المسلم أن يدرب أولاده على الصيام حتى ينشأوا على هذه العبادة.

وينشأ ناشىء الفتيان منا ... على ما كان عوّده أبوه

بعد السابعة إن أطاق الصبي الصيام يؤمر بالصيام، إلى العاشرة فيضرب عليه إن أطاقه[1]. يمكن أن يصوم أياماً ويفطر أياماً، حتى يمكنه بعد ذلك

الشيخ القرضاوي عليه في كتابه (المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب: ١/ ٢٣٩، الحديث ٣٥٨).

(١) ذكر الشيخ في كتابه (فقه الصيام: ص٣٧) أن الحديث الوارد في شأن الصلاة «مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر» ينطبق على الصيام هنا بفارق واحد، وهو مراعاة القدرة البدنية للصبي ـ أو الصبية ـ فقد يبلغ السابعة أو العاشرة، ولكن جسمه ضعيف لا يحتمل الصيام، فيمهل حتى يشتد عوده ويقوى.

صوم الشهر كله، الخير عادة والشر عادة، وكما قال الشاعر:

وينفع الأدب الأحداث في صغر ... وليس ينفع عند الشيبة الأدب

إن الغصون إذا قومتها اعتدلت ... ولن تلين إذا قومتها الخشب

إن الله تبارك وتعالى فرض علينا شهراً واحداً، يقول بعض الأدباء: احمدوا الله، هناك ربيع أول وربيع ثاني، وجمادى أولى وجمادى آخرة، ولكن رمضان واحد. ليس هناك رمضان أول ورمضان آخر، هو رمضان واحد، شهر من اثني عشر شهراً، وطلب الله منا الصيام فيه من الفجر إلى غروب الشمس.

وما أعظم نعمة الله علينا في هذه البلاد، إنها ساعات محدودة، هناك من يصوم عشرين ساعة أو أكثر من شمال أوروبا وأمريكا وكندا، هناك من سألوني عن الصيام في ذلك النهار الطويل، ماذا يصنعون؟ نحن نصوم ساعات محدودة معدودة، يستطيع أي إنسان عنده عزم وقوة أن يصومها.

ومع هذا كله فإن الله رخص للإنسان أن يفطر لأعذار شتى، المرض عذر، والسفر عذر، والشيخوخة عذر، والعمل الشاق عذر. من كان يعمل في عمل شاق لا يقدر أن يقوم به يمكنه أن يفطر ويقضي بعد ذلك.

ولكن رأينا الناس والله في القرى والأرياف، رأينا العمال الذين يعملون في البناء والأعمال الشاقة، يتحملون حر الشمس في وقدة الصيف، ويظلون صائمين إلى آخر النهار، إنها عزائم المؤمنين.

وهنا يسأل كثير من الطلاب في هذه الأيام عن الصيام والامتحانات قائمة أو على الأبواب، وأنا أقول: إن على كل مسلم أن ينوي الصيام، وأن يعزم ويصمم عليه، وأن يتسحر ويستعد، ثم يجرب نفسه: هل يستطيع أن يواصل أم لا يستطيع؟ فإن وجد نفسه لا يستطيع أن يستوعب، أو أن يفهم، أو أن يهضم أو أن يؤدي الامتحان بجدارة، فعنده رخصة في الإفطار ثم عليه القضاء بعد ذلك.

أما أن ينوي الإفطار مقدماً دون أن يحاول الصوم، فمن أين له: أنه لا يستطيع؟.

وهناك أناس يستطيعون أن يغيروا نظامهم، كثير من الناس يسهرون الليل كله في رمضان، فيستطيع الطالب أن يذاكر طوال الليل وأن ينام النهار لا يقوم إلا للصلاة، ومن تيسر له ذلك كان الأمر سهلاً عليه. المهم العزم على الصيام، والصيام بآدابه التي شرعها الله تبارك وتعالى.

على المسلم أن يصوم من الفجر إلى غروب الشمس عن المفطرات كلها، حتى إذا غربت الشمس بادر بالإفطار، فإن النبي ﷺ قال: «لا يزال الناس بخير ما عجلوا الفطر»[1]. وكان تعجيل الفطر وتأخير السحور من هديه وهدي أصحابه، يقول الرسول الكريم: «إنا معاشر الأنبياء، أمرنا أن نعجل فطرنا، وأن نؤخر سحورنا، وأن نضع أيماننا على شمائلنا في الصلاة»[2]. وعن عمرو بن حريث، وعمر بن ميمون قالا: كان أصحاب رسول الله ﷺ أسرع الناس إفطاراً وأبطأهم سحوراً[3]. و«كان رسول الله ﷺ يفطر قبل أن يصلي على رطبات، فإن لم تكن رطبات فتمرات، فإن لم تكن تمرات حسا حسوات من ماء»[4].

تعجيل الإفطار وتأخير السحور إلى ما قبيل الفجر سنّة.

ليس هناك فترة تسمى فترة الإمساك أو الاحتياط، ليس في الشرع شيء من هذا بل هذا نوع من الغلو الذي يرفضه الإسلام. النبي ﷺ نهى عن صوم

---

(١) متفق عليه عن سهل بن سعد (اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان: حديث ٦٦٧).

(٢) قال الهيثمي في المجمع (٣/ ١٥٥): رواه الطبراني في الأوسط، ورجاله رجال الصحيح.

(٣) أثران رواهما الطبراني في الكبير، ورجالهما رجال الصحيح (المجمع: ٣/ ١٥٤).

(٤) رواه أبو داود عن أنس رضي الله عنه، والترمذي وقال: حديث حسن، ورواه الحاكم شاهداً وصححه على شرط مسلم، وسكت عليه الذهبي (المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب: ١/ ٣٢٩، برقم ٥٦٥).

يوم الشك، اليوم الذي بعد التاسع والعشرين من شعبان، نهى عن صومه منفرداً إلا أن يكون يوم عادة له صادف يوم خميس يصومه أو نحو ذلك[1]. لماذا؟ حتى لا يحدث الناس غلواً في الدين، ويصبح بعد مدة أمراً عادياً مشتركاً للأمة كلها. الإسلام ييسر، الشريعة حنيفية سمحة، في آية الصيام: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ...﴾ [البقرة: ١٨٥].

علينا أن نحسن الصيام، وعلينا أن نحسن القيام «من قام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه»[2]، أن يقوم قيام المؤمنين المحتسبين، ليس المقصود ركعات يؤديها الإنسان دون خشوع ولا اطمئنان، والطمأنينة ركن في الصلاة.

نريد أن يعيش الإنسان مع كتاب الله، يعيش في رحاب القرآن، فرمضان شهر القرآن، يعيش معه قارئاً، يتلو ما استطاع من هذا الكتاب، فله بكل حرف عشر حسنات[3]. ويعيش معه مستمعاً، وما أحلى صلاة التراويح يقضيها الإنسان مع القرآن الكريم.

ليس المقصود هذه الصلوات التي نراها في المساجد، لا يخشع فيها قلب، ولا يراقب فيها رب، ولا يستقر فيها صلب. هذه الصلاة التي نرى أصحابها كأن وراءهم من يلهب ظهورهم بسوط، ليست هي الصلاة المقصودة.

---

(١) أخرج البخاري، ومسلم، من حديث أبي هريرة: «لا تقدموا بين يدي رمضان بيوم، أو يومين، إلا رجلاً كان يصوم صياماً فليصمه» (زاد المعاد لابن القيم بتحقيق شعيب الأرناؤوط وعبد القادر الأرناؤوط: ٢/ ٤٠ ـ ٤١).

(٢) سبق تخريجه ص(٢٠٦).

(٣) عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ حرفاً من كتاب الله فله به حسنة، والحسنة بعشر أمثالها، لا أقول ألم حرف ولكن ألف حرف، ولام حرف، وميم حرف» رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح غريب (المنتقى من كتاب الترغيب: ١/ ٤١٧، برقم ٧٧٣).

نريد الصلاة الخاشعة المطمئنة، نريد أن يكون رمضان شهراً لله تبارك وتعالى، أن يخرج الإنسان من هذا الشهر، وحظه من المغفرة والرحمة والعتق من النار، أن يكون من عتقاء الله تعالى من النار، ولله في كل ليلة عتقاء.

هذا هو شهر رمضان أيها الإخوة، شهر رمضان، شهر أتاحه الله لنا لنتطهر، نتطهر من سيئاتنا ونتزود من الحسنات ونحاول أن نزيد من رصيدنا عند الله تبارك وتعالى، الناس يحاولون أن يضاعفوا من رصيدهم في المصارف والبنوك، ومهما حاولوا فإن هذا لن يكون معهم يوم القيامة ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ۝٨٨ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ۝٨٩﴾ [الشعراء: ٨٨ ـ ٩٨] .

لا حرج على الإنسان أن يزيد من رصيده إن كسبه من حلال، ولم يبخل به عن واجب، ولكن الأهم من ذلك كله، هو الرصيد الذي ينفع في يوم لا عملة فيه إلا الحسنات والسيئات.

حاولوا أيها الإخوة المسلمون أن تزيدوا من رصيدكم عند الله عز وجل، اعزموا ـ ونحن في أول الشهر ـ أن تجعلوا هذا الشهر شهراً خالصاً لله تبارك وتعالى، أن تجعلوه شهراً للصيام وللقيام وللخيرات، وأن تبذلوا فيه لله عز وجل، اخرجوا زكاة أموالكم، أدوا ما عليكم من حقوق، من كان عليه دين فليقض دينه، فإن الديون يسأل عنها الإنسان يوم القيامة، ولا ينفع فيها صلاة ولا صيام ولا حج ولا عمرة.

نحن الآن في زمان تكاثرت فيه علينا المصائب من كل جانب، وتداعت الأمم علينا كما تتداعى الأكلة إلى قصعتها، يختلف أولئك فيما بينهم ويتفقون علينا نحن المسلمين ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ . . .﴾[1] [الأنفال: ٧٣] .

لا ينجينا أيها الإخوة مما نحن فيه إلا رجعة صادقة إلى الله تبارك وتعالى، إلا أن نقرع باب الله قرع التائبين المنيبين، الراجين الخائفين، وهذا أوان هذه

---

(١) وتمامها ﴿إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾.

الرجعة، هذا هو موسم التوبة والإنابة، فلنقل جميعاً ما قال أبونا آدم وأمنا حـــواء: ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴿٢٣﴾﴾ [الأعراف: ٢٣].

ما أحوجنا أن نرجع إلى الله في هذا الشهر، أن ندعوه بقلوب خاشعة ضارعة، وأيد ممدودة إليه مبتهلة، أن ينجينا مما نحن فيه، أن يكشف عنا غمتنا، ويفرج كربتنا.

ما أحوجنا إلى أن ندعو، وللصائم دعوة ما ترد عند فطره، كما جاء في الحديث: «إن للصائم عند فطره لدعوة ما ترد»[1]. وجاء في الحديث الآخر: «ثلاثة لا ترد دعوتهم: الصائم حين يفطر ـ وفي رواية الصائم حتى يفطر ـ والإمام العادل، ودعوة المظلوم يرفعها الله فوق الغمام، وتفتح لها أبواب السماء، ويقول الرب: وعزتي وجلالي لأنصرنك ولو بعد حين»[2].

ما أحوجنا إذا ما أقبل الليل من ههنا، وأدبر النهار من ههنا، وغربت الشمس، وتهيأنا للإفطار أن نمد أيدينا إلى الله داعين لأنفسنا وأهلينا والمسلمين في كل مكان، بالمغفرة والرحمة، وللمضطهدين والمعذبين والمجاهدين، بالفتح والنصر والنجاة ونقول: «ذهب الظمأ وابتلت العروق، وثبت الأجر إن شاء الله تعالى»[3].

---

(١) رواه ابن ماجه، وذكر البوصيري في الزوائد أن إسناده صحيح. وانظر تعليق الشيخ القرضاوي على الحديث في (المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب: ١/ ٣١٠، الحديث ٥١٢).

(٢) رواه أحمد، والترمذي وحسنه واللفظ له، وابن ماجه، وابن خزيمة، وابن حبان في صحيحيهما، وكذا حسنه الحافظ، وصححه الشيخ شاكر في تخريج المسند (المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب: ١/ ٣١٠، الحديث ٥١٣).

(٣) رواه أبو داود، والدارقطني، وحسّن إسناده، والحاكم وقال: صحيح على شرط البخاري. وانظر تعليق الشيخ القرضاوي عليه في كتابه (فقه الصيام: ص١١٠).

أقول قولي هذا أيها الإخوة، وأستغفر الله تعالى لي ولكم، فاستغفروه يغفر لكم، وادعوه يستجب لكم.

● الخطبة الثانية:

أما بعد فيا أيها الإخوة:

رمضان شهر الصيام والقيام، فعلى كل مسلم ـ ومسلمة أيضاً ـ أن يتهيأ للقيام تهيؤه للصيام. وينبغي للزوج أن يتيح لزوجته أن تذهب إلى المسجد لصلاة التراويح، فتكسب الصلاة، وتكسب الموعظة والدرس، ويشاركها في الأجر، دون أن ينقص من أجرها شيء، وقد كان النساء في عصر النبي ﷺ يذهبن إلى المسجد ويشهدن صلاة الجماعة، حتى الفجر والعشاء حتى إنهن كن يدخلن مع الرجال من باب واحد، فقال النبي ﷺ: **«لو تركنا هذا الباب لنساء»**[1]. فجعلوه للنساء، ولا زال يسمى (باب النساء) إلى اليوم، بمسجد الرسول ﷺ.

علينا أن نتيح الفرصة لزوجاتنا وبناتنا للذهاب إلى صلاة التراويح، وأن نحرص عليها في المساجد التي تؤديها أداء حسناً، حتى يكون حظنا أوفر عند الله تبارك وتعالى، ونحن على العادة إن شاء الله سنصلي التراويح في (الجامع الكبير) كما هي عادتنا.

ونصيحتي للإخوة الذين يحرصون على صلاة التراويح هناك، أن يأتوا متجمعين ما أمكن، أي كل مجموعة من الأصدقاء والجيران يأتون في سيارة واحدة، نظراً لضيق المواقف هناك، وأن تُخلى الأماكن القريبة لمن يأتي ومعه أسرته، وهذا من باب التعاون، ورمضان شهر المواساة... شهر التعاون، كما أنه شهر الصبر، والصبر ثوابه الجنة.

---

(١) رواه أبو داود في كتاب الصلاة من سننه برقم (٤٦٢) عن ابن عمر، وفيه قال نافع: فلم يدخل منه ابن عمر حتى مات. وفي رواية: أن راوي الحديث عمر لا ابنه، فيكون منقطعاً. وقد أعاده أبو داود برقم (٥٧١).

نسأل الله تبارك وتعالى أن يجعلنا في هذا الشهر من المقبولين. اللهم أخرجنا من هذا الشهر الكريم مغفوراً لنا. اللهم اجعل حظنا منه الرحمة والمغفرة والعتق من النار، اللهم أعنا على أن نصوم نهاره إيماناً واحتساباً، وأن نقوم ليله إيماناً واحتساباً. اللهم اجعل يومنا خيراً من أمسنا، واجعل غدنا خيراً من يومنا، وأحسن عاقبتنا في الأمور كلها، وأجرنا من خزي الدنيا وعذاب الآخرة، اللهم اجعل كلمة الإسلام هي العليا، واجعل كلمة أعداء الإسلام هي السفلى.

اللهم انصرنا على أعدائك أعداء الإسلام. اللهم رد عنا كيدهم، وفلّ حدّهم، وأحبط مكرهم، وخذهم ومن ناصرهم أخذ عزيز مقتدر ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِيٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٧] ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠] . ربنا واجعلنا مقيمي الصلاة ومن ذرياتنا ربنا وتقبل دعاء. ربنا اغفر لنا ولوالدينا وللمؤمنين يوم يقوم الحساب.

عباد الله يقول الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾﴾ [الإحزاب: ٥٦] اللهم صل وسلم وبارك على عبدك ونبيك محمد وعلى آله وصحبه والتابعين.

وأقم الصلاة.